Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حروف الهجاء العربية ، وكأنها أوتار يعزف عليها اللسان فيخرج من كل وتر صوت ، فتسمع الأذن من هذا همسا ومن هذا جهارة ، ومن أحدها رخاوة ومن الآخر شدة ، وتأليف الكلمة من حروفها كتأليف اللحن من نقراته ، كل يعبر تعبيراً تحسه الأذن ويفسره العقل والوجدان التفسير اللائق بإيقاعه .

صلة ذلك بالتكرار الحرفي :

كما أن عودة النقرة على الوتر تحدث التجاوب مع سابقتها ؛ فتأنس الأذن بازدواجهما وتآلفهما ، فإن عودة الحرف في الكلمة تكسب الأذن هذا الأنس ، لو لم يكن لعودته مزية أخرى تعود إلى معناه ، فإذا كان مما يزيد المعنى شيئاً ، أفاد مع الجرس الظاهر جرساً خفياً لا تدركه الأذن وإنما يدركه العقل والوجدان وراء صورته .

وقد وضعت مفردات اللغة في الأعم الأغلب ـ ما كرر فيه الحرف وما خلا عن التكرير ـ وضعا يجانب النشاز الصوتي ، الذي يقلق الأذن وينفر منه الوجدان ، فإذا نظرنا في قاموس ما تكرر فيه الحرف ، مع قصر الصيغة كمضعف الثلاثي ، ومع طولها كما في الخماسي والسداسي ، لا نجد ثقلا يبهظ السمع ، ولا تنافراً يرهق النفس ، فقد تجنبت أنواعاً من التركيب لا يسلس بها نطق الألفاظ ، كما أشار إلى ذلك علماء فقه اللغة في (الاشتقاق الكبير) وندر ما تنافرت حروفه من الكلمات ، التي يمثل بها علماء البلاغة والنقد ، لخروج الكلمة عن الفصاحة بسبب تنافر حروفها ، حتى يكاد من شاء حصر هذا النوع في صفحة أو ما قاربها ـ أن يحصل على مشيئته ، ومع هذا فإني مع الجاحظ في قوله :

« وليس في الأرض لفظ يسقط ألبتة ، ولا معنى يبور ، حتى لا يصلح لمكان من الأماكن »[1] .

---

(١) البيان والتبيين ١ ـ ٩٣ .